

وثائق ومقررات الكنائس الغربية

حول القرآن الكريم - دراسة تحليلية

أ.د. عبد الراضي محمد عبد المحسن (*)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الخاتم المبعوث رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً بوحى قرآني مبين لما سبقه من الوحي ومهيمن عليه . وبعد ،

فعندما شرع العالم الإسلامي يتلمس طريقاً للخلاص من سطوة العالم الغربي المتشرع بالنصرانية والمتسلط على مقدرات العالم الإسلامي وعلى جوانب عدة من حياته الثقافية والفكرية والعلمية منذ إسقاط الخلافة العثمانية وبدء الحقبة الاستعمارية .

أخذ المسلمون في استجلاء طبيعة التسلط الغربي ، ومجالاته وأدواته ، وأبعاده ، وأشكاله ، وخطورته على الحياة الدينية والفكرية في العالم الإسلامي بوصفها القوة المحركة للنشاط الإنساني والسياج الواقعي من مخاطر مسخ الهوية وتنويب الكيان وتدمير المناعة الذاتية اللازمة لبناء الحضارات وتأسيس الأمم والكيانات .

(*) أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان بالكلية وعضو فريق الدراسات الإسلامية المعاصرة البحثي بجامعة الملك سعود بالرياض ومستشار الهيئة العالمية للتعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم ونصرته - رابطة العالم الإسلامية بمكة المكرمة .

فاتجهت الأنظار إلى الاستشراق والتتصير (التبشير) وحدهما بوصفهما بيت الداء والأداة الفاعلة للعالم الغربي في الصراع والسيطرة ، فاستفاضت الدراسات والبحوث حول الاستشراق والمستشرقين ، والتبشير والمبشرين ، رسداً : لأنشطتهم ، وجهودهم ، ومناهجهم ، وآرائهم ، ومعالجاتهم الفكرية للديانة الإسلامية ، ونبيها ، وقرآنها ، وأصولها الإيمانية ، وتشريعاتها التعبدية ، وقوانينها الأخلاقية ، وإنجازاتها الحضارية ، ومجتمعاتها البشرية .

فأقيمت الندوات والمؤتمرات ، وأعدت الكشافات والموسوعات ، وتأسست مراكز البحوث والأقسام العلمية بالكليات والجامعات .

وذلك دون التفات أو عناية تذكر بالفكر اللاهوتي الكنسي وعلاقته بالدراسات الاستشراقية والتتصيرية التي ولدت في كنف الفكر اللاهوتي الكنسي ، ونشأت وترعرعت في عناية الكنسية وعلى عينيها ، فكان اللاهوتيون والفكر اللاهوتي الكنسي التربة التي غذت درس الاستشراقي ، والجذر الذي استوت عليه سوق البحوث الاستشراقية والتتصيرية ونمت أغصن وفروع الاستشراق والمستشرقين والتتصير والمنصرين .

فقد كان اللاهوتيون والرهبان من رجال الكنيسة هم الطبقة المثقفة في العالم النصراني ، فكانوا الأقدر على القيام بمهام العمل الاستشراقي والتتصيري بحكم المعرفة العلمية وبحكم الدوافع المحركة لمثل هذا العمل ؛ لذلك جاء اللاهوتيون والرهبان في طليعة المستشرقين والمبشرين ، ولا زالت لهم اليد الطولي سواء من خلال أديرتهم المختلفة المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي ، مثل :

البندكتيون ، الفرنسيسكان ، الدومينيكان ، اليسوعيون ، الآباء البيض ، الكيوشيون ، الكرمليون .

أ. د. عبد الراضي محمد عبد المحسن

أو من خلال المؤسسات اللاهوتية الرسمية المسؤولة عن العمل التصيري والاستشراقي كجزء من العمل الكهنوتي في الكنيسة .

ولا يمكن كذلك بحال إغفال دور الفكر اللاهوتي الكنسي في تشكيل الوعي الثقافي والحضاري والفكر الديني في العالم الغربي ، الذي وإن أعلى راية العلمانية إلا أنه لاهوتيّ بحث في رؤيته للإسلام .

ولا تتحصر أهمية دور الكنيسة في كون رجالها اللاهوتيين والرهبان هم القاعدة البشرية للنشاط الاستشراقي والتصيري حول الإسلام ، بل تجاوزته إلى الطبيعة النوعية للعمل اللاهوتي ضد القرآن الكريم :

فقد كان رجال الكنيسة هم أصحاب المبادرة الأولى في التصدي للقرآن الكريم بحثاً ودراسة وتصنيفاً وهجوماً بواسطة القديس يوحنا الدمشقي أحد كبار آباء الكنيسة اليونانية الذي عاش في بلاط بني أمية ، وقد ظلت الدراسات القرآنية حكرًا على رجال الكنيسة قرونًا طويلة قبل أن يعرف تاريخ الدراسات القرآنية غيرهم من المختصين العارفين باللغة العربية والثقافة الإسلامية ممن يسمى بالمستشرق .

إذ إن ذلك يعود إلى ما بعد عام (٧١١هـ/١٣١١م) أي بعد سبعة قرون من ظهور الإسلام عندما قرر مجمع فيينا الكنسي إنشاء خمسة كراسي لتعليم اللغة العربية في أكبر خمس جامعات في أوروبا (باريس ، أكسفورد ، بولونيا ، سلمنكا ، جامعة الإدارة المركزية البابوية) وعيّن للتدريس فيها مدرسين كاثوليكين من أجل التمهيد والإعداد لارتداد العرب إلى المسيحية^(١) .

(١) Francis Dvornik , The Ecumenical Concils, PP. ٦٥ - ٦٦ , Hawthorn Books. New York ١٩٦١ .

وانظر : يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص ٣١ بترجمة عمر العالم ، دار قتيبة ، ط الأولى ، دمشق ، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

وكان اللاهوتي المعروف الأب بطرس الموقر رئيس رهبان دير كلوني هو القائم على أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم (٥٣٨هـ / ١١٤٣م) ، فكانت أول لغة من لغات العالم الغربي يمكن أن تُقرأ بها معاني القرآن الكريم .

ومثلّ القديس توما الإكويني (٦٢٢-٦٧٣هـ / ١٢٢٥ - ١٢٧٤م) اللاهوتي الدومينيكاني الذي يعد أكبر مفكري الغرب في العصور الوسطى ، والذي أصبح فكره اللاهوتي المذهب شبه الرسمي للكنيسة الكاثوليكية ، مثل برأيه اللاهوتي في القرآن الكريم نقطة فارقة في تاريخ الجدل الديني ضد القرآن الكريم .

وجاء اللاهوتي مارتن لوثر (٨٨٨-٩٥٣هـ / ١٤٨٣ - ١٥٤٦م) ليؤسس بتفكيره اللاهوتي حول القرآن الكريم ، العقيدة والفكر الديني للبروتستانت طيلة القرون الستة المنصرمة .

وربما يكون السبب وراء غياب الاهتمام اللازم بفكر الكنيسة حول القرآن الكريم ما تتطلبه مثل هذه الدراسات من تخصص منهجي في حقل الديانات المقارنة ، ومعرفة جيدة بتاريخ الفكر الغربي عامة والفكر اللاهوتي على وجه الخصوص ، وإلمام واسع بمصادره التي تكون في الأعم الأغلب باللغات الأوروبية ، وهي متطلبات قلما تتوفر لكثير من المهتمين بالاستشراق ؛ نظراً لوفرة الترجمات العربية لتاريخ الاستشراق وأعمال المستشرقين ، ولكون أكثر الباحثين حول الاستشراق من ذوي الاختصاص في الدراسات العربية أو الإسلامية العامة .

لأجل ذلك استلزمت الضرورة العلمية ودواعي المنهجية البحث في الفكر اللاهوتي الكنسي حول الوحي القرآني وما تمخضت عنه من وثائق ومقررات حصيلة مجامع وإصدارات ومراسم كنسية ؛ لتجلية : جوانب ذلك الفكر ، ومصادره ، وطرائقه ، وتأثيره في تشكيل الوعي الثقافي والفكري الغربي

بالقرآن الكريم وانعكاسات ذلك على توجهات الاستشراق وغيره من الأنشطة العلمية والثقافية في الغرب ، وكذلك طروحات الفكر الكنسي الغربي عبر مراحل التاريخ ومن خلال أطرافه المذهبية المتعددة : فكر الكنيسة اللاتينية ، فكر الكنيسة الكاثوليكية ، فكر الكنيسة البروتستانتية .

وما كان لنا أن نقارف خطايا المؤاخذات على الغربيين (لاهوتيون — مستشرقون — منصفون) في بحوثهم عن الإسلام والعروبة من تجافٍ للموضوعية، وتجاوز لأصول المنهجية العلمية في تحصيل المعلومات وإصدار الأحكام .

فكان المنهج التحليلي النقدي هو الأنسب لمعالجة الموضوع في قراءة تحليلية دقيقة لمعطيات الفكر الكنسي من وثائق ومقررات ومراسم في كل مرحلة من مراحل على حدة من خلال أبرز النماذج الفكرية اللاهوتية التي عرفت بها المرحلة ، مع تقويم نتائج الفكر الكنسي في كل مرحلة ، ثم التعقيب في الخاتمة بقراءة تحليلية شاملة لمعطيات الفكر الكنسي عبر مراحل مجتمعة ، قراءة تهدف إلى استخلاص المعالم الأساسية المشكّلة لهيكله .

والتماساً للموضوعية وتحرياً لأصول المنهجية العلمية في استقصاء المعلومات وإصدار الأحكام ، فإن اعتماد البحث كان على مصادر تاريخ الفكر اللاهوتي في مظانها الأصلية ، فلم يُعوّل على أي مرجع وسيط لباحث مسلم أو عربي ، بل إن الحرص كان كبيراً على تأصيل الرؤى الكنسية حول الوحي القرآني ، واستقراء الوثائق والمراسم والمقررات الكنسية من المصادر الأجنبية، فلم يُعتمد في الكتب المترجمة إلا على النزر اليسير الذي لا يجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، وذلك كي نضمن الإفلات من قبضة الادعاء بأننا نحن — المسلمين — ذاتيون لا نكتب عن الآخر إلا ما نستشعره وليس ما هو كائن .

وقد جاء البحث في ثلاثة مطالب وخاتمة ، خُصّص مطلب لكل مرحلة من المراحل الكنسية الغربية : اللاتينية ، البروتستانتية ، الكاثوليكية .

أما الخاتمة فجاءت قراءة تحليلية شاملة لمعطيات المراحل الثلاثة ، وذلك بهدف استخلاص المعالم الأساسية المُشكّلة لهيكل الفكر اللاهوتي الغربي حول القرآن الكريم ، ثم دُيِّل البحث بقائمة تفصيلية لمصادره ومراجعته .

ولا يسعني إلا أن أقدم خالص شكري إلى عمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود التي ترعى فريق الدراسات الإسلامية المعاصرة البحثي الذي أسعد بعضوتي فيه من خلال مشروع المجموعات البحثية مجموعة رقم (١٩- VBB - RGB) .

والله أسأل أن يكون من وراء القصد ، وأن يكون التوفيق قدر البحث وحظه ، وأن يعلمنا - سبحانه - ما جهلنا ، وأن ينفعنا بما قد نكون علمنا ، فله الحمد والمنة في البدء والختام .

المطلب الأول : القرآن الكريم في وثائق ومقررات الكنائس

بدأ تميز الكنائس اللاتينية عن الكنائس البيزنطية منذ القرن الثامن الميلادي عندما أضاف اللاتين إلى قانون الإيمان المسيحي عبارة (المنبثق من الآب والابن) عقب الفقرة المخصصة للروح القدس ؛ لتصبح : «نؤمن بالروح القدس الرب المالك والمحيي ، المنبثق من الآب والابن ، الذي مع الآب والابن يُسجد له ويمجد».

وفي عام (٤٤٦هـ/١٠٥٤م) تم الانشقاق النهائي والفصام النكد بين الكنيستين دينياً ، وسياسياً ، وثقافياً ، وذلك بصدور قرارات تحريم ولعن متبادلة بين ممثل بابا كنيسة روما وبين بطريرك كنيسة القسطنطينية ، ليستقل اللاهوت البيزنطي تماماً معبراً وحده عن كنيسة القسطنطينية المعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس التي تضم كنائس : أورشليم ، واليونان ، وروسيا ، وأوروبا الشرقية، الأرثوذكسية .

وقد تعددت مجالات التباين بين اللاهوتين على النحو التالي^(١) :

١- ففي المجال السياسي عبر اللاهوت اللاتيني عن كنيسة روما المرتبطة بالممالك الأوروبية الناشئة خاصة الجرمانية ، والتي تحررت من أسر امبراطور القسطنطينية ، بينما ظل اللاهوت البيزنطي معبراً عن كنيسة القسطنطينية وفيًا لامبراطورها ولامبراطوريتها حتى سقوطها على يد السلطان محمد الفاتح (٨٧٥هـ/١٤٥٣م).

٢- وفي المجال الثقافي :

(١) الأب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ، ص : ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٦٨ - ١٧١ ، طبع دار المشرق بمساعدة الرابطة الكاثوليكية بإشراف وترجمة لجنة من المطارنة والآباء اليسوعيين والفرنسيكان ، ط الأولى ، بيروت ١٩٩٤ م .

كانت الهوة عميقة ، فقد كان الشرق يجهل اللاتينية ، وكان اللاتين الغربيون يجهلون اليونانية لغة البيزنطيين الشرقيين لغة التراث والثقافة اليونانية العريقة ؛ كذلك كان اللاتين في نظر البيزنطيين جهلاء غير متقنين .

٣- وفي المجال الديني :

اختلفت عقيدة اللاتين عن البيزنطيين فيما يخص طبيعة الروح القدس الأقدس الثالث في مثلث الألوهية النصراني ، وكذلك اختلفت الطقوس والشعائر وشروط الكهنة ولباسهم .

ويمثل الفكر اللاهوتي للاتين حول الوحي القرآني أغزر إنتاج بسبب طول الفترة التاريخية التي عاشها الفكر اللاتيني والتي جاوزت أربعة قرون من الزمان لم تنته عملياً إلا بالانشقاق البروتستانتي عن كنيسة روما في القرن الخامس عشر .

لذلك فقد شهدت مرحلة الكنيسة اللاتينية سيلا من الكتابات وجيشاً من الأعلام لا يمكن بالقطع الوقوف إلا أمام أبرزها التي تمثل العلامات الفارقة والنقلات الواسعة والإسهامات الواضحة خلال القرون الأربعة في تاريخ الفكر اللاهوتي اللاتيني ، وهي :

(١) امبريشو الماينزي EmdrichO Von Mainz

يغلب على الظن أنه كان أسقف مدينة أوجسبرج الألمانية عام

(٤٥٧هـ/١٠٦٤م) حسبما يرى Lambert von Hersfeld .

وقد طرح رؤيته اللاهوتية في صورة شعرية بعنوان : Vita Mahumeti .

وفيهما يقدم لحياة النبي ﷺ بمعلومات تاريخية خاطئة ، فيبدو فيها النبي ﷺ ليبيّاً ويعمل خادماً لأحد القناصل هناك ، ويلتقي بساحر شرير منفي إلى ليبيا ،

يجعله أداة لتنفيذ خطة محكمة للانتقام من المسيحية ، فيساعد الساحر النبي ﷺ حتى يصل إلى منصب الملكية في ليبيا ثم بواسطة خدعة مأكرة يحصل على إقرار الشعب بنبوته ، وهنا يقوم الساحر بتلقيين محمد ما ادعى أنه وحي قرآني، لكن محمداً لم يكتف بمرتبة النبوة المدعاة ولكنه كان يطمح لرتبة الألوهية^(١) .

ويبدو بوضوح قدر الجهالة العلمية والفكرية والمعلوماتية التي تشتمل عليها تلك الرؤية اللاهوتية التي يجهل صاحبها مكان مولد محمد ﷺ وحياته ، ناهيك عن مضمون دعوته أو التوحيد الصارم الذي عرفت به رسالته .

(٢) جيوبرت النوجنتي Guibert von Nogent

خصص جيوبرت رئيس دير نوجنت عام (٤٩٨هـ / ١١٠٤م) الفصل الرابع من كتابه المعنون بـ : *Gesta Dei Per Francos* ، للحديث عن الوحي القرآني ، وفي هذا الفصل يكون محمد ﷺ إسكندرياً يدخل في صراع حول تولى منصب أسقف الإسكندرية ، وذلك بمساعدة زاهد إسكندري يلقنه ويعلمه تعاليم هرطقية يزعم أنها وحي إلهي ، مع أنها ترفض التثليث ولا تقر بألوهية عيسى^(٢) .

(١) Stephan Hotz, Mohammed und Seine Lehre in der Darstellung abendländischer Autoren , S : ٢٧ - ٤٢ .

وراجع تفاصيل رؤية امبرشو اللاهوتية لدى :

Rotter. E., Embricho Von Mainz und das Mohammed - Bild seiner Zeit , in : Auslandsbeziehungen unter den salisechen Kaisern . hrsg- von F. Stab, Speyer ١٩٩٤, S : ٦٩ - ١٣٧ .

(٢) Stephan Hotz, Mohammed und seine Lehre , S : ٤٢ - ٤٩ .

وراجع تفصيل رؤية جيوبرت النوجنتي اللاهوتية لدى :

Bulst, N., Guibert von Nogent, in: LMA IV (١٩٨٩), Sp. ١٧٦٨ - ١٧٦٩ .

ويتفق جيوبرت في تفكيره اللاهوتي مع امبريشو في تصنيف محمد ﷺ على أنه نبي كاذب يستعين بالحيلة على إثبات دعوى النبوة وتلقى الوحي ، وذلك بواسطة البقرة التي تحمل القرآن على سبيل الإعجاز ، ولكن يختلفان في شخصية معلم محمد ، فبينما المعلم لدى امبريشو راهب نسطوري ، هو لدى رئيس دير نوجنت زاهد إسكندري .

(٣) الأب بطرس الموقر Petrus Venerabilis :

قام الراهب الدومينيكاني الأب بطرس الموقر برئاسة دير كلوني بفرنسا وعمره ثلاثون عاماً ، وظل قائماً بها من عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) وحتى وفاته (٥٥١هـ/١١٥٦م) ، وخلال تلك الفترة عمل جاهداً على تفعيل الدور الدومينيكاني في الدفاع عن المسيحية في داخل أوروبا وخارجها فقام بانعديد من المهام والأعمال لهذا الغرض ؛ ومنها^(١) :

١-الإشراف على أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية لتكون أول لغة أوروبية تقرأ بها معاني القرآن الكريم ، واستقدم لذلك الغرض كلا من :

- بيتر التوليودو Petars von Toledo

- روبرت الكيتوني Rubert von Ketton

- بطرس بواتيه Petrus von Powatie

- هرمان الدلماطي Hermann von Dalmatia

(١) Bulst N, Petrus venerabilis , in : LMA IV (١٩٩٣) SP. ١٩٨٥ - ١٩٨٧ - --

= Kritzeck J., peter the Venerable and Islam, S : ١ - ١١٥ , Princeton ١٩٦٤.

= Stephan Hotz, Mohammed and seine Lehre, S : ٧١- ٨١ .

أ. د. عبد الراضي محمد عبد المحسن
وجميعهم باستثناء الدلماطي (غير المعروف) من الرهبان والقساوسة^(١) .

٢-الزيارات والجولات داخل فرنسا وخارجها إلى أسبانيا من أجل تأسيس فروع لدير كلوني ، ومن أجل جمع المعلومات عن النبي محمد ﷺ وكتابه ، ومن أجل استقدام المختصين بمعرفة اللغة العربية والعلوم الإسلامية ؛ لكونه كان جاهلا بالعربية وعلوم الإسلام .

٣-نشر المؤلفات الجدلية ضد القرآن ونبيه ، مثل :

- المجموعة المختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة وهي تتضمن أو تحاكي كتاب عبد المسيح الكندي في الرد على الهاشمي .

- مقدمة روبرت الكيتوني القائم بالترجمة اللاتينية .

- (تعاليم محمد) لهرمان الدلماطي .

- تاريخ المسلمين (أخبار المسلمين المعيبة المضحكة) .

- رسالة بطرس بواتييه ضد السرازنة .

٤-تأليف الكتابات الجدلية ضد القرآن ، وهي :

- خطابه إلى صديقه **Bernhard von Clairvaux**

- ضد طائفة السرازنة .

- خلاصة هرطقة السرازنة .

(١) راجع للتوسع في معرفة الترجمة اللاتينية الأولى دراستنا التفصيلية لحركة الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم ، في مجلة ((رسالة المشرق)) الصادرة عن مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ، المجلد العاشر ٢٠٠١م ، ص: ٤١٥ - ٤٩٩ .

وقد جاء رأي بطرس الموقر اللاهوتي في الوحي القرآني تبريراً للعقيدة المسيحية ودفاعاً عنها في مواجهة الإسلام ، ذلك الهدف الذي جعله بطرس الأولوية الأولى لعمله في العناية بترجمة القرآن وما صاحبها من كتابات لاهوتية .

لذلك كانت ترجمته اللاتينية الأولى للقرآن الكريم إيعاداً لأي خاطر حول نبوة محمد أو إلهية مصدر القرآن ، فاستبعدت بإشرافه الألفاظ اللاتينية المعبرة عن النزول الإلهي لكلمة الله من السماء ، وحلت محلها عبارة : (*Coelitus missus*) بمعنى المرسل من السماء^(١) .

فهو ينفي تلقي محمد ﷺ الوحي الإلهي ، ويقرر أن محمداً ﷺ هو مؤلف القرآن ومعلمه هو الراهب النسطوري سرجيوس ، وأنه ادعى تلقيه من السماء بواسطة الملك جبريل ، ويُرجع تصديق العرب به لعدم معرفتهم بمثل محتواه العقدي من قبل .

وينقل بطرس الموقر بالفكر اللاهوتي حول القرآن خطوة تجاه الموضوعية عندما يفترض معياراً يقاس به صدق الوحي القرآني الذي ادعاه محمد ﷺ ، ألا وهو امتلاك المعجزة ، والقدرة على التنبؤ .

إذ يسوق رئيس دير كلوني حججه على عدم كون القرآن وحياً إلهياً ، والمتمثلة في خلوّ القرآن نفسه من معجزة لمحمد ﷺ ، كما أن محمداً لم يكن يستطيع التنبؤ بالأحداث وكشف المستور في الماضي والحاضر والمستقبل ، ويستدل على ذلك بأنه قد هُزم في إحدى حروبه ، ولو كان يتلقى وحياً إلهياً لعرف بالهزيمة ولأمكنه تجنب المعركة .

(١) L. Hagemann, Die erste lateinische Koranuebersetzung – Mittel zur
verstaendigung zw ischen christen und Muslimen im Mittelalter ? , in :
Orientalische Kultur und euro Paisches Mittelalter (Miscellanea Mediaevalia ,
Bd . ١٧) Berlin – New York ١٩٨٥ . S : ٤٥ – ٥٨ .

وبغض النظر عما يشتمل عليه فكر بطرس الموقر من مغالطة بشأن خلّو القرآن من المعجزات أو التنبؤات بالأحداث حيث الشواهد على ذلك عديدة ، فإن تلك الخطوة نحو الموضوعية قد تراجعت عندما صنف بطرس الموقر الوحي المحمدي في عداد الهرطقات النصرانية ، ونسب تعلم محمد ﷺ ذلك إلى الراهب النسطوري سرجيوس .

فالنص القرآني القائمة معانيه بين يدي الترجمة الكلونية اللاتينية لا تشي من بعيد أو قريب بمصدر تعليم نصراني للوحي المحمدي ، بل تقطع بعدم تلقى النبي ﷺ أي تعليم فهو أمي وظل أمياً حتى وفاته ﷺ ، ونفى القرآن كذلك مزاعم المشركين في تعلمه من حداد روميّ وجاء القرآن ببيّنة البيان القرآني العربي الفصيح الذي لا يتأتى من أعجمي أبداً .

والتفسير المعقول لذلك النكوص من رئيس دير كلوني عن الخطوة التي خطاها نحو الموضوعية هو الفكر التبريري المدافع عن العقيدة المسيحية وذلك يختلف عن الفكر التأملي البرهاني القائم على الأدلة الصحيحة والحجج اليقينية .

(٤) وليم الطرابلسي William von Tripolis

عاش وليم الطرابلسي الدومنيكاني في مملكة أورشليم في القرن (السابع الهجري الثالث عشر الميلادي) إبان الحروب الصليبية ، وقد صنف كتابين صنع بهما اسماً لامعاً في قوائم المبشرين واحتفظت رؤيته اللاهوتية للوحي القرآني من خلالهما بقوة تأثير كبيرة على المؤلفات التبشيرية الدومنيكانية وغير الدومنيكانية حتى اليوم ^(١) :

(١) راجع جهود اللاهوتيين الدومنيكان من خلال الحملات التبشيرية في القرن الثالث عشر

لدى : =

فكتابه الأول المعروف اختصاراً باسم « الأمة المحمدية » وعنوانه الكامل «ذكريات عن محمد ، وكتاب قوانينه القرآن ومحتواه ، وما الذي قال عن ربنا يسوع المسيح » ، وقد خصصه للإجابة عن ثلاثة أسئلة طرحها وهي :

١- مَنْ كان محمد ومن أين جاءت عقيدته الضالة ؟

٢- على أي نحو وبأية طريقة تم تأليف القرآن ؟

٣- أية تعاليم دينية تضمنها القرآن ، وأي العناصر المسيحية أخذها القرآن .

أما كتابه الثاني المعروف اختصاراً باسم « أحوال السرازنة » وعنوانه الكامل : « حول أحوال السرازنة وأحوال محمد نبيهم المزيف ، وحول الشعب نفسه وقوانينه » ، وقد أوقفه للجواب عن ثلاثية افتراضية من التساؤلات التي طرحها :

١- مَنْ كان محمد القائد والمرشد والنبي الزائف للشعب المسمى بالسرازنة ؟

ومن أين أتى ؟ ومتى صعد إلى مكانته المرموقة بينهم ؟

٢- كيف تضخمت قوة هذا الشعب واتسع نفوذه ؟

٣- ما العناصر المسيحية التي تضمنها القرآن ؟

(٥) القديس توما الإكويني Thomas von aquin (٦٢٢-٦٧٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٥هـ)

(١٢٧٤م)

أحد أكابر طائفة الدومينيكان وقد عُيِّن مستشاراً للبلاط البابوي ، ويعد أكبر مفكري الغرب في العصور الوسطى وأعظم فلاسفة المسيحية وأكثرهم تأثيراً

R. I. Burns , Christian – Islamic Confrontation in the West : The Thirteenth – Century Dream of Conversion, in : American Historical Review ٧٦ (١٩٧١) , ١٣٨٦

- ١٤٣٤ .

= B, Z. Vedar, Crusade and Mission , European Approaches toward the Muslims , prienceton ١٩٨٤ .

في الكنيسة الكاثوليكية ، وقد عرض خلاصة مذهبه اللاهوتي في كتابيه « الخلاصة اللاهوتية » ، « الخلاصة ضد الكفار » (١):

وتعد رسالته التي أوقفها للرد على الإسلام والمعنونة بـ (De rationibus Fidei) أكثر خصوصية من كتابه « الخلاصة ضد الكفار » الذي ألفه استجابة لرغبة زعيم طائفة الدومينيكان للاستعانة به في تبشير المسلمين فجاء أشبه بكتب تعليم الرهبان الدومينيكان أسلوب التصدير ومسالكه ومسائله .

لذلك جاءت هذه الرسالة أكثر تركيزاً وميلاً إلى النزوع الفلسفي والتبرير العقلي لقضايا الاعتقاد ذلك الاتجاه الذي عُرف به الإكويني ونال مكانته لدى الكنيسة ، مما حدا بمؤرخي اللاهوت المسيحي إلى تثمينها عالياً على أنها تكشف عن موهبة غير عادية وُضعت في أحدٍ وأجلى حالاتها ، فأنتجت أبهى الأفكار اللاهوتية والفلسفية الملزمة بالمبادئ التبشيرية التي وضعها الإكويني نصب عينيه مستدلاً بمقولة الرسول بطرس التي صدر بها هذه الرسالة : (قدسوا الرب المسيح في قلوبكم ، وكونوا دائماً مستعدين لأن تردوا على من يطلب منكم دليل ما أنتم عليه من الرجاء) رسالة بطرس الأولى (الإصحاح ٣ / ١٥) (٢) .

وذلك على الرغم من أن رؤية توما الإكويني اللاهوتية للقرآن لا تعطي أي انطباع بأنه قد قرأ القرآن أو اطلع عليه في أية لغة خاصة في اللغة اللاتينية

(١) Hagemann, Missionstheoretische Ansätze bei Thomas von Aquin in seiner Schrift , in : Thomas von Aquin, Hrsg. von A. Ziminermann, S: ٤٥٩- ٤٨٣ . Berlin – New York ١٩٨٨ .

(٢) M. Grabmann, Die Schrift : De rationibus fidei Contra Saracenos Graecos et Armenos ad Cantorem Antiochenum des heiligen Thomas von Aquin , in : Scholastik ١٧ (١٩٤٢) , S: ١٩١ .

التي ترجم إليها وكانت معروفة في أوساط المفكرين والمتقنين اللاتين ، كذلك لا يظهر بحال أن الإكويني كان من العارفين بالإسلام .

ويبدو أن جهل توما الإكويني بالقرآن هو ما جعله عزوفاً عن طرح رؤية لاهوتية حوله إلى أن اضطر إلى ذلك استجابة لطلب رئيس طائفة الدومنيكان فكتب « الخلاصة ضد الكفار » ، واستجابة للتحدي الفكري الذي فرضته التساؤلات والإنكارات الإسلامية على قضايا العقيدة المسيحية ، تلك التساؤلات والإنكارات التي نقلها إليه كانتور الأنطاكي ، فألف رسالته في الرد على السرازنة (المسلمين) .

ويبدو كذلك أن جهل توما الإكويني المعرفي بالقرآن وعدم اطلاعه عليه كان السبب وراء تلك الرؤية اللاهوتية التي جاءت مخالفة تماماً ما سبقها وما تلاها من رؤى لاهوتية حول القرآن .

إذ إن رؤيته اللاهوتية لا تصنف الإسلام بين الهرطقات المسيحية كما هو الدارج بين اللاهوتيين ، ولا تجعل محمداً ﷺ متعلماً على يد راهب مسيحي ، ولا تقدم القرآن على أنه نتاج تهجيبي لعملية تلقيق بين نصوص الكتاب المقدس وغيره من الأفكار والثقافات ، وإنما تضع الإسلام خارج خارطة الأديان وتحصره في دائرة الكفر والوثنية، وتقطع الطريق على القرآن كي لا يكون مستمداً من العناصر اليهودية والنصرانية ، أو يكون قائماً على قابلية التفاعل الداخلي ، لتحكم عليه بالوثنية وتحصره فيها وتعزله عن أي دور للوحي وتبعده عن أي مكان في دائرته^(١) .

وإلى جانب الجهل المعرفي بالقرآن لا يمكن إغفال المؤثرات الأخرى في تكوين الرؤية اللاهوتية لتوما الإكويني ، مثل وظيفته التعليمية في البلاط البابوي التي فرضت عليه أنساقاً معينة من المواقف والأفكار ، وكذلك رغبته

(١) E. Kellerhals, Artikel: Islam II, in : (RGG) Bd. III (١٩٥٩), SP. ٦٢٠ F .

أ.د. عبد الراضي محمد عبد المحسن

الجامعة في تبرير العقيدة المسيحية بالبراهين العقلية والفلسفية والدفاع عنها في مواجهة الإنكار القرآني على العقائد المسيحية الأساسية خاصة ألوهية المسيح وبنوته وقتله على الصليب فداء للبشر ، فدفعته تلك الرغبة إلى التأكيد على أحادية الحقيقة وأحادية جهة التماسها لدى الوحي المسيحي وحده دون دوائر الفكر الوثني ، ولما كان الفكر اللاهوتي قبله قد جعل الوحي المسيحي رافداً من روافد القرآن ، فإن ذلك يعنى لدى الإكويني تعدد مصادر الحقيقة وجهات التماسها ، مما اضطره إلى حشر القرآن في دوائر الوثنية كي يبقى الكتاب المقدس في النصرانية المصدر الوحيد للحقيقة ^(١).

(٦) الأب ريكولدوس دي مونت كروسيو Ricoldus de Monte Crucis (٦٤١-٧٢٠هـ/١٢٤٣-١٣٢٠م)

صاحب الحياة الطويلة والرحلات العديدة والخبرة الواسعة ببلاد العالم الإسلامي ؛ الأندلس ، فلسطين ، أرمينيا ، بغداد ، حيث احتكاً قوياً بالثقافة ومصادر التشريع وأسلوب المعيشة والحياة في الإسلام ، وحيث أنشئ دير الآباء الدومينيكان الذي ينتمي إليه في عكا ولم ينته دور الدير إلا بسقوط عكا عام (٦٩٠هـ/١٢٩١م) .

وقد وضع رؤيته اللاهوتية للوحي القرآني في كتابه :

(Contra legem Sarracenorum) الذي ألفه لتفنيد الديانة الإسلامية كي يجد المبشرون الدومينيكان الفرصة المواتية لتحويل المسلمين إلى دين المسيح ^(٢).

(١) M.D.Chenu, Das Werk des HL Thomas von Aquin S : ٨٣f. , Heidelberg ١٩

(٢) H.Barge, Der DominiKanermoench Ricoldus und Seine Missionsreise nach dem Orient, in : Allgemeine MissionsZeitschrift ٤٣(١٩١٦) S : ٢٧ - ٤٠ .

وتتمحور رؤيته اللاهوتية للوحي القرآني حول البحث في مدى صحة وأصالة الوحي القرآني ، وقد صاغ هذا البحث في صورة تساؤل محوري استغرقت الإجابة عنه صفحات كتابه ذي الفصول السبعة ، وهو^(١) :

هل القانون الإلهي الحق في القرآن أم في الكتاب المقدس لدى النصارى ؟

وينطلق في محاولة الجواب عن هذا التساؤل من فرضية كون القرآن (Konglomerat) خليطاً من التعاليم والهرطقات المسيحية وغير المسيحية ، كي يفسر الموقف القرآني من العقائد المسيحية الأساسية مثل التثليث والتجسد ، فيتفق مع توما الإكويني في أن هذه العقائد فوق مستوى العقل وغير قابلة للبرهنة العقلية.

ثم يدلل ريكولدوس دي مونت على عدم أصالة وصحة الوحي القرآني بأنه يخلو من ذكر معجزة لمحمد على العكس من معجزات عيسى المذكورة في الإنجيل .

ويضيف اعتراضاً على عدم صحة الوحي القرآني بأنه يخاصم العقل من أربع جهات :

- السلوك الأخلاقي غير القويم لمؤلفه محمد .
- الإطناب والإسهاب القرآني الذي يجعله عديم القيمة ، إلى جانب صياغته الفاحشة .
- الممارسات العقدية في الإسلام مثل شعائر الوضوء للصلوات اليومية ومفهوم الزواج والطلاق .
- التصور القرآني للنعيم في الجنة .

(١) L.Hagemann , Christentum contra Islam, S: ٦٠ -٦٢ .

ومن أدلة دي مونت على عدم صحة الوحي القرآني دعواه أن محمداً خاتم الأنبياء (Siegel der Propheten) ، وكذلك تبكيته اليهود والنصارى لعبادتهم من سوى الله ، وإنكاره ألوهية المسيح ورفضه عقيدة الصلب والفداء .

ويختتم رؤيته اللاهوتية بمقارنة القرآن الكريم بالوحي الإنجيلي الذي وصفه بالخاتم والمحقق لبشارات ونبؤات الكتب السماوية السابقة ، إلى جانب عالمية الإنجيل ، وتوافقه مع التقاليد الفلسفية والفكر العقلي مما يقطع بكونه وحده هو القانون الإلهي الحق .

ولا شك أن تلك الرؤية اللاهوتية لدي مونت تسترعي الانتباه لأنها خطت بالفكر الديني للكنيسة اللاتينية حول الوحي القرآني خطوات لم يدركها القديس توما الإكويني الذي ذاع صيته وتبثّل الكثيرون في محراب عقلنته لللاهوت المسيحي ، فقد مسح دي مونت رؤيته بطابع عقلي لذلك ثبت لأول مرة شبهة التعارض العقلي في القرآن دليلاً على عدم أصالة الوحي القرآني ، كما جعل التوافق مع العقل والفكر الفلسفي جانباً من جوانب المقارنة من القرآن والإنجيل .

وعلى الرغم من أن رؤية دي مونت اللاهوتية حول الوحي القرآني لم تتضمن شيئاً أصيلاً من جهة التصنيف والأحكام ، لكونها جمعت بين الأفكار اللاهوتية الجدلية القديمة المثارة للطعن في الإسلام ، إلا أنها قدمت بناء أكثر فاعلية في إثارة الشبهات والمطاعن حول القرآن أكثر مما قدمه توما الإكويني ، فهي تمتاز عن رؤية الإكويني بتلك الفاعلية ، لكنها لم تختلف عنها في اعتمادها على سلسلة الأكاذيب والافتراءات المثارة حول الإسلام والقرآن وشخصية النبي محمد ﷺ .

كما أنها من جانب آخر جعلت من الوهم الشخصي والتصور الذاتي للمفكر معياراً للحق والحقيقة ومقياس الخطأ والصواب ، وذلك إلى جانب المغالطات

وثائق ومقررات الكنائس الغربية

الفكرية والتاريخية التي اشتملت عليها ، إذ غضت البصر — مثلاً — عن المعجزات التي ذكرت في القرآن لتأييد نبوة محمد ﷺ وختمه لسلسلة النبوات والرسل ، مثل معجزة الإسراء والمعراج — ومعجزة تأييده ﷺ بالملائكة في غزواته ، وكذلك بعض البشارات والنبؤات مثل انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم ، وأخيراً وليس آخراً تحدى النبي ﷺ لقريش بالقرآن نفسه أن يأتوا بمثله أو عشر سور منه ، أو حتى سورة واحدة من سوره .

(٧) الكاردينال نقولا الكوسي Nikolaus von Kues :

ألماني أنفق من عمره سنوات طويلة يجمع كل ما يجده عن الإسلام ، وألف كتاباً بعنوان De Pace Fidei عبارة عن محاورة بين ممثلي أديان العالم الرئيسية ، وكتب عام (٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) كتابه الشهير (غريبة القرآن) ، وانتهى فيه إلى أن القرآن مكون من ثلاثة عناصر^(١) :

الأول : النصرانية النسطورية .

الثاني : مشاعر عداوية ضد النصرانية أدخلها المستشار اليهودي للنبي ﷺ .

الثالث : تحريفات أتى بها المصححون اليهود بعد وفاة محمد ﷺ .

ويلاحظ أن تعديلاً جوهرياً قد أدخل على أسطورة تعليم النبي ﷺ ، فغدا المصدر اليهودي الحي مصدراً تعليمياً للنبي ﷺ ، كما أفسح المجال هنا لعملية تحرير وتصحيح يهودية لنصوص القرآن الكريم .

وليس هناك تصور لاهوتي أكثر سذاجة من تصور نقولا الكوسي الذي جعل من المصححين اليهود لنصوص القرآن يغضون البصر عن أقسى

(١) ر . و . سذر ، نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ، ص : ١٠٧ — ١٠٨ ،

بترجمة على فهم خشيم وصلاح الدين حسن ، دار مكتبة الفكر ، ط الأولى ، طرابلس

١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م .

المؤخذات والتقريرات القرآنية للعقيدة والأخلاق اليهودية ، وكذلك الانفلات والتحريف في مجال التشريع والكتب المقدسة .

لكن التصور اللاهوتي لنقولاً القوسي يمثل من جهة أخرى نقلة جديدة في تاريخ الفكر الكنسي حول الوحي القرآني ، فقد اعتمد القوسي عبر صفحات كتابه ذي المجلدات الثلاثة رؤية تفسيرية للإلهيات القرآنية من خلال الإنجيل ، جاعلاً من الوحي القرآني مسألة نزاع بين المسيحية الغربية والهرطقة النسطورية ، ومن نقده للقرآن نقداً للنسطورية ممثلة في الطائفة المحمدية ، ومن ثم عمد إلى الاصطلاحات العقدية القرآنية يحملها مضموناً لاهوتياً مسيحياً ، ويبحث للمفاهيم اللاهوتية النصرانية عن توكيدات ودلائل وقوالب قرآنية ، مثل (١) :

١ - المسيح عيسى كلمة الله - الروح

تصبح الاصطلاحات القرآنية « كلمة الله » ، « الروح » المسندة إلى المسيح عيسى لدى القوسي منصرفاً إلى الشخص الثاني في الثالوث الإلهي المسيحي ، وتحمل خصائصه على الرغم من أن تلك الاصطلاحات في القرآن بعيدة تماماً عن أية ظلال تأليهية للشخص الثاني أو الشخص الثالث في مثلث الآلهة النصراني .

فكلمة الله في القرآن هي كلمة الخلق الإلهي التي بها توجد المخلوقات من عدم ، أو هي الوحي المنزل من السماء إلى الرسل لإبلاغه للخلق ، أو هي

(١) L. Hagemann, Der Kur'an in Verstandnis und Kritik bei Nikolaus von Kues , Ein Beitrag Zur Erhellung islamisch - christlicher Geschichte (F Th st ٢١) . Frontfurt ١٩٧٦ .

= G. Hoscher, Anmerkungen zur Sichtung des Alkorans (N v K due , Heft ٧) .

= P. Naumann, Einfuehrung zur Sichtung des Alkorans (N v K due , Hoft ٦) .

قضاء الله في مخلوقاته ، أما الروح فهو الملك المرسل من الله لإبلاغ وحي ،
أو لتنفيذ أمر منه سبحانه .

٢- المسيح عيسى وجه كل الشعوب

يعتمد القوسي على خطأ ترجمة دير كلوني اللاتينية الأولى للقرآن ، في
ترجمة كلمة « وجه » في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ
يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران / ٤٥) .

إلى لفظ **Facies** بمعنى : وجه ، فيصبح المسيح عيسى لديه « وجه كل
الشعوب » في رباط وإيماء وإشارة إلى سفر مزامير داود ٤٥ / ٣ :

((إنك أجمل بني آدم والظرف على شفقتك انسكب فلذلك باركك الله للأبد))

وإلى ما ورد في إنجيل متى ٣ / ١٧ :

((وإذا صوت من السموات يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي عنه
رضيت)) .

٣- المسيح عيسى المرسل الإلهي الأكبر

يتحول المسيح عيسى لدى نقولا القوسي إلى « المرسل الإلهي الأكبر »
استناداً إلى ترجمة دير كلوني الخاطئة لبشارة الملائكة لمريم في قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ
فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ

يَمَسِّنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴿آل عمران ٤٥ - ٤٩﴾ .

فقد ترجم روبرت الكيتوني الآية (٤٥) على النحو التالي : يا مريم سوف تشاركين كلمة الله بشرى المرسل الإلهي الأكبر (Summi nuntii)

ويسوق القوسي من الترجمة الخاطئة لبقية آيات البشارة الدلائل والبراهين المؤكدة لاصطلاح المرسل الإلهي الأكبر ، فالكيتوني يترجم قوله تعالى : ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾ (الآية : ٤٨) . هكذا : أني قد جئت منشأً بقوة إلهية (Cum divina Virtute Venientem) فيجعل القوسي من هذه القوة الإلهية برهانا على المرسل الإلهي الأكبر ، وبهذه القوة يفسر معجزات عيسى المسندة إليه في آيات البشارة السابقة من تحويل الطين المصور إلى طير ، ومن إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإنباء بالمغيبات ، فيجعل تلك المعجزات أعمالاً إلهية الطابع قام بها المسيح بالقوة الإلهية المنتشح بها ، وليس بإنخراق العادات والقوانين الحاكمة للكون عن طريق التدخل الإلهي أمراً وفعلًا في الطبيعة كي تتعطل تلك القوانين أو تتخرق على سبيل العمل المعجز المؤيد لنبوة الأنبياء والرسل المبعوثين للبلاغ ولهداية أقوامهم .

سخر الكاردينال نقولا القوسي خطأ روبرت الكيتوني المتعمد للفظ ((رسول)) في دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة / ١٢٧ - ١٢٩) .

فقد ترجمها إلى لفظ (Mediator) بمعنى وسيط فجعلها الكاردينال نقولا القوسي شهادة قرآنية لدور المسيح ((الوسيط)) بين الله والبشر في عملية الخلق وعملية الفداء وفي مهمة الحساب يوم الدينونة .

والقوسي بذلك لا يكون قد اعتمد ترجمة خاطئة المعنى ومخالفة للبناء العقدي وجوهر التوحيد ومضمون الإلهيات في القرآن ، لكنه تجاهل بوضوح معطيات علم الأنساب الحاسمة في إلحاق المسيح عيسى بجده لأمه إسحاق غير المعنيّ أو الحاضر في ذلك الدعاء ، بل ربما غير المولود حتى وقت ذلك الدعاء ، أما الحفيد المدعو له من أبيه الأبعد إبراهيم وجده إسماعيل أصل العرب المستعربة الذي ينتهي إليه نسب محمد ﷺ وفق المقطوع به من معطيات علم الأنساب ، فهو النبي محمد ﷺ النبي العربي صاحب الكتاب العربي المبين ، من جهة أخرى يتغاضي القوسي عن الرفض القرآني القاطع لأي شكل من أشكال الوساطة بين الخلق والخالق سواء في الدنيا أم في الآخرة ، فالخلق يأتون

ربهم للحساب يوم القيامة أفراداً حيث لا يخلص أحد إلا بفضل الله تعالى ثم بعمله في دار التكليف .

أما في الدنيا فلا يحمل أحد وزراً عن أحد أراد ذلك أم لم يرد فالكل قد ألزم طائرته في عنقه .

٥- التوحيد والتثليث

يرى القوسي أن محمداً رغم أنه كان متيقناً في نفسه أنه داعية توحيد مطلق وصارم كما يبدو من سورة « الإخلاص » ، وكما يبدو من إنكاره على المكيين عبادتهم اللات والعزي ومناة الثالثة الأخرى ، ومن تبرئه من عبادات ومعبودات المشركين في سورة « الكافرين » .

فإن القرآن الكريم في تصور القوسي قد أقرّ بعدة آلهة ، هي : الله ، الروح ، الكلمة ، ويرجع القوسي السبب في اتهامه القرآن بالقول بعدة آلهة إلى أنه لم يقل بالتثليث ، فلو كان قد قال بالتثليث أو سكت عن رفضه لأمكن الجمع والتأليف بين تلك الآلهة الثلاثة ؟!

ولا شك أنه ما من سبيل لتفسير أو تبرير ذلك التعسف في التأويل ، وكذلك التجاهل المتعمد للأصل القرآني العربي الذي احتك به القوسي في اللغة العربية التي عاش بين أهلها وقرأ بها عديداً من المؤلفات ، ولجؤته في الآن نفسه إلى ترجمة دير كلوني التي قام بها روبرت الكتوني تلك الترجمة اللاتينية المشوهة !!

المطلب الثاني : القرآن الكريم في وثائق ومقررات الكنيسة البروتستانتية

اللاهوت البروتستانتي أوضح مراحل اللاهوت النصراني من جهة تعيين تاريخ ظهوره ، وظروف نشأته ، والفوارق بينه وبين اللاهوت الكاثوليكي والأرثوذكسي ، ويرجع ذلك إلى الإعلان المدوّي الذي بدأ به مؤسس الكنيسة البروتستانتية الدكتور مارتّن لوثر حركته الإصلاحية في (١٠/١/٩٢٣هـ = ٣١ / ١٠ / ١٥١٧م) بالاعتراضات الـ ٩٥ على كنيسة روما والتي قام بلصقها على باب كنيسة قصر فيتتبرج بألمانيا ، ثم بتصريحه عام (٩٢٥هـ / ١٥١٩م) أن « البابا هو المسيح الدجال » والذي ترتب عليه قرار حرمان لوثر من حقوقه السياسية والدينية والاجتماعية .

لكن اللاهوت البروتستانتي لم يتميز على الإطلاق بشيء عقدي عن شقيقه الكاثوليكي أو عن الأرثوذكسية الغريم التقليدي للآتين .
وذلك لأن مارتّن لوثر لم يقصد إنشاء لاهوت جديد أو تأسيس كنيسة جديدة، ويظهر ذلك من جانبين^(١) :

أولهما : عدم مخالفته الكاثوليك في شيء من أصول العقيدة : التثليث — الصلب والفداء — الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية للمسيح مع المشيئتين — طبيعة الروح القدس وانبثاقه من الأب والابن معاً .

الثاني : حصر جميع مسائل الخلاف بينه وبين الكاثوليك في مجال الطقوس وأسرار الكنيسة ، باستثناء قانون الكتاب المقدس الذي وافق فيه اليهود ورفض زيادات الكاثوليك ، وبذلك يكون الخلاف بين اللاهوت البروتستانتي والكاثوليكي حول:

١- الاعتقاد في عصمة البابا وقداسته التي رفضها لوثر .

(١) الأب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ، ص : ٢٣١ — ٢٣٤ .

٢- الاعتقاد في تحول الخبز والخمر في العشاء المقدس إلى جسد المسيح ،
ودمه ، ونفسه ، ولاهوته ، حقيقة وواقعاً وجوهرأ ، وهو ما يعتقده
الكاثوليك.

٣- صكوك الغفران الكاثوليكية .

٤- عدم سماح كنيسة روما إقامة الطقوس والصلوات بغير اللاتينية فقام لوثر
بترجمة الكتاب المقدس للألمانية ليتسنى الصلاة بهما .

٥- رفض الكاثوليك زواج رجال الدين ، فما كان من لوثر إلا الزواج من
الراهبة كاترينا بورا استهزاء بأساقفة روما .

وقد أودع مارتن لوثر تصوره اللاهوتي للوحي القرآني في كتابيه
الصادرين عام (٩٣٦هـ/١٥٢٩م) : ((الموعظة الحربية ضد الأتراك)) ،
((من الحرب على الأتراك)) ، وكذلك في مقدمة نشرته لكتاب ريكولدو دي
مونت ((ضد السرازنة)) وفي تقديمه لنشرة من ترجمة دير كلوني اللاتينية
للقرآن ، وينتهي ذلك التصور المبني على الربط الوثيق بين عناصر الوحي
والنبوة والكهنوت والرؤى الأخروية إلى أن^(١) :

المسلمون هم عصا الرب وخدام الشيطان ، وذلك بعد أن قيم الإسلام عام
(٩٢٣هـ/١٥١٧م) كعقوبة إلهية .

ومع أنه يتصل من سياسة الحروب الصليبية إلا أن كتابات مارتن لوثر
حول الإسلام كتابات سياسية ، فهو لم يتعامل مع الإسلام كمشكلة دينية ، بل
كمشكلة سياسية ؛ لذلك جاء تقييمه اللاهوتي للإسلام استناداً إلى الحكم والرؤى

(١) Martin Luthers Werke , Gesamtausgabe (Weimarer Ausgabe) Weimar ١٨٨٣ .

= L. Hagemann , der Islam in verstaendnis und Kritik bei, Martin Luther, In : T Th Z
١٠٣ , Jg , H.٢ (١٩٩٤) S : ١٣١ - ١٥١ .

= Umbau Wolf , Luther and Mohammedanism : M W ٣١ (١٩٤١) .

الأخرية في الكتاب المقدس على أنه قوة آخر الزمان الشريرة التي هي أداة من أدوات المسيح الدجال ، وقوة الإسلام دنيوية شريرة وليست قوة روحية .

وهو يربط بين الإسلام وبين بابا الفاتيكان ، ففي تصويره اللاهوتي أن المسيح الدجال قابع في روما يشق صفوف الكنيسة ، والإسلام هو المؤذن به ، كما أن الإسلام يقوم بدور مماثل للبابا وإن كان يفوقه ، فالشيطان يحاول من خلال أداته المسلمين ليس فقط حكم العالم الأرضي ، بل كذلك مملكة المسيح ومقدساته ، ويعمل أيضا على شق صفوف أعضاء كنيسته .

لكن يبقى لديه أن البابا هو العدو الأكبر للمسيحية وليس محمداً ، لأن محمداً كان أغلظ وأخشن من أن يعكر صفو العقيدة أو العقل ، كما أن شيطانه طفل لا يقدر على ذلك .

وفي إطار ربطه اللاهوتي بين عناصر الوحي والنبوة والكهنوت والرؤى ، فإن تصويره للقرآن جاء قاسياً ، فقد تبنى اثنين من التصورات الخرقاء حول الوحي القرآني مما شاع في أدبيات الفكر اللاهوتي ، وهما :

الأولى : أن الشيطان هو محرّض محمد ، والقرآن عمل الشيطان ، وقد تبنى تلك الخرافة ليقطع الطريق أمام أي تصور يرى في القرآن كلمة الله وأن الوحي الإلهي هو مصدره ، وأنه نفسه إعجاز جاء لتأييد نبوة محمد ﷺ .

الثاني : انتشار الإسلام بالسيف وليس بقوة القرآن الروحية ، فالإسلام قوة دنيوية شيطانية لا تزعج فقط المسيحية لكنها تزعج كذلك أديان العالم كلها .

ويستند التصور الثاني لدى لوثر على شبهة كون القرآن لا يراعي الحياة الروحية حتى في الزواج مثلاً يسمح بتعدد الزوجات ومعاشرة الإماء ، مما يتنافى مع الروحانيات .

ثم يمضى لوثر في تصوره اللاهوتي واضعاً لأول مرة معياراً للتفرقة بين الديانة المسيحية وبين ديانة القرآن ، ألا وهو (الأمانة المقدسة) عقيدة الإيمان النصراني التي تنص على : الإيمان بالرب يسوع المسيح المولود من العذراء مريم والذي قتل وصلب على عهد بيلاطس الأنطاكي ، وقام من قبره بعد ثلاثة أيام وصعد إلى يمين أبيه في السماء ، وسيأتي ليحاسب الأحياء والأموات .

فهذه الأمانة التي باعتقادها يصبح المسيحي مسيحياً تبرز الخلاف الجلي بين المسيحية وديانة القرآن ، إذ إن القرآن على الرغم من تقديره لمريم والمسيح بكونهما دون خطيئة ، وأنه نبي مرسل مثل يوحنا ، فإن ذلك لا يبرر رفضه لنبوّة المسيح لله ، ومحاسبته البشر ، وصلبه وقيامته من الموتى لأجلهم ، فإن هذا الرفض القرآني لتلك العقائد إلى جانب تعارضه الصريح مع قانون الإيمان المسيحي ، فإنه يعني من جانب آخر رفض القرآن الحاسم كون المسيح هو المخلص ، والفادي ، والملك ، وغافر الذنوب .

ويمكن القول — باطمئنان — إن فكر لوثر اللاهوتي حول القرآن الكريم يمثل حداً فارقاً في تاريخ الفكر اللاهوتي ، إذ إن لوثر قد فصل بوضوح بين القرآن وبين النصرانية من جهة الارتباط المصدري الذي دأب عليه مفكرو اللاهوت قبل لوثر حيث درجوا على تصنيف القرآن كامتداد لللاهوت النصراني.

والأساس الذي بني عليه لوثر هذا الفصل هو اختلاف جوهر البناء العقدي وروحه في القرآن عن حقيقة الاعتقاد المسيحي كما تنص عليه عقيدة الإيمان النصراني وما يترتب عليها .

لكن السؤال الذي يرتبط بملاحظتنا تلك على التصور اللاهوتي للوثر : هل كان موقف لوثر اللاهوتي من الوحي القرآني موقفاً حراً نابعاً من مقررات العقل ونتاج الفكر والتأمل وخلاصات التحليل والمقارنة ؟ أم أن ذلك الموقف كانت وراءه دوافع أخر قادت إليه ؟

للأسف لم يكن موقف لوثر اللاهوتي نابعاً من مقررات العقل ، ونتاج الفكر والتأمل ، وخلاصات التحليل والمقارنة التي شهّرت عن البروتستانت ، إذ إن لوثر رغم أنه كان موضوعياً أكثر من القديس توما الإكويني الذي بنى موقفاً لاهوتياً من القرآن رغم عدم اطلاعه عليه ، فإن اطلاع لوثر على القرآن ودراسته لم تزده إلا عداً للوحي القرآني ، ذلك العدا الذي برز في أمرين (١) :

أولهما : نشره وترجمته للألمانية بتقديم منه كتاباً معادياً للقرآن وهو كتاب ريكولدو دي مونت (ضد السرازنة) عام (٩٤٩هـ/١٥٤٢) ، الذي يفهم من مقدمته أنه قام به بعد قراءته الحديثة جداً لنسخة من ترجمة دير كلوني اللاتينية للقرآن الكريم . والتي صدرت إحدى طبعاتها بمقدمة مارتن لوثر نفسه عام (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) .

وتفسير العدا من وراء نشره هذا الكتاب يكمن في عدوله عن ترجمة ونشر كتاب آخر أفاد منه في بناء تصوره اللاهوتي ، وهو كتاب الكاردينال نقولا القوسي (غربة القرآن) ، الذي يقرب القرآن من النصرانية من جهة الجسور الروحية والمصدرية التي تربط بينهما بحسب رؤية القوسي .

الثاني : تصريحه بخلاصة موقف لاهوتي جازم من الوحي القرآني بوصفه القرآن الكريم بأنه : كتاب ليس له مثل في اللعنة والخزي والإزعاج ، فهو مليء بالكاذيب والخرافات والمعائب .

فإذا ما بحثنا عن تفسير لعداء لوثر اللاهوتي للوحي القرآني ، لا نجد سوى عاملين نفسيين ؛ عامل داخلي يتمثل في عداؤه وصراعه ضد البابوية في روما ،

(١) Luthers Brief an den Rath Zu Basel , In : K, R, Hagenbach, L uther und der Koran vor dem Rath zu Basel, in : Beitræge zur Vaterlaendischen Geschichte IX (١٨٧٠) , S : ٢٩٩ .

===== أ.د. عبد الراضي محمد عبد المحسن =====

فقد جعله ذلك الصراع معها يصورها على أنها الشر الأكبر ، ومن ثم يلحق بها أية رؤية عقدية أو دينية تخالف رؤيته .

أما العامل الخارجي فيتمثل في الضغط العسكري التركي على أوروبا حيث كانت الجيوش العثمانية على مقربة من الحدود الألمانية بعد سقوط المجر فسيؤدي إلى الخلافة العثمانية .

المطلب الثالث : القرآن الكريم في وثائق ومقررات الكنيسة الكاثوليكية

الكنيسة الكاثوليكية هي الامتداد الطبيعي للكنيسة اللاتينية ، لكن المجمع التريدنتي (٩٥٢هـ/١٥٤٥م) أنشأ الكتلة المعاصرة بقيادة كنيسة روما ومقرها الفاتيكان ذات الطابع المميز لأتباعها في مقابلة البروتستانتية والأرثوذكسية ، وبذلك استقل الكاثوليك عن الروم الأرثوذكس وعن البروتستانت في العقيدة الإيمانية ، وفي قانون الكتاب المقدس ، وفي التقاليد الرسولية ، وفي حقيقة التبشير أمام الله بالنعمة اليسوعية وليس بأعمال الشريعة وحدها ، وفي الأسرار الكنسية السبعة ، وفي تحول العشاء المقدس إلى جسد المسيح ودمه ونفسه ولاهوته حقيقة وفعلًا وجوهرًا ، وفي الكهنوت ونظامه ، والزواج ونظامه^(١).

واللاهوت الكاثوليكي هو امتداد للفكر اللاهوتي اللاتيني ، مُعَبَّر عنه في مقالات ومواقف كنسية تحمل الطابع الكهنوتي الرسمي من خلال المجمع الكاثوليكية والمراسم البابوية لبابا روما المعصوم خليفة بطرس الرسول .

فقد تبنّى الكاثوليك في المجمع التريدنتي (٩٥٢-٩٧١هـ/ ١٥٤٥ - ١٥٦٣م) الذي انفصلت به الكنيسة الكاثوليكية عن البروتستانتية رسميًا ، تعاليم الآباء اللاتين كأنها صادرة عن لسان المسيح أو مملاة من قبل الروح القدس ومحفوظة في الكنيسة الكاثوليكية بتعاقب متواصل^(٢) .

وقد استقر الفكر اللاهوتي الكاثوليكي بدون استثناء على أن المسيحية هي الديانة الوحيدة الحقّة الموحى بها من السماء ، أما الإسلام فهو ديانة وضعية مقطوعة الصلة بالوحي الإلهي ، ذات كتاب ملفق^(٣) .

(١) الأب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ، ص : ٢٤٥ - ٢٤٩ ، ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) لأب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ، ص : ٢٤٧ .

(٣) Christian W. TROLL, Der Islam in Verstaendnis Katholischen Theologie, S :

لذلك لم تستطع الكنيسة الكاثوليكية الفكاك من أسر تصورات وطروحات مفكري اللاتين وأحكامهم المسبقة وقوالبهم المصكوكة والموروثة عن أساطير الرؤية اللاهوتية ليوحنا الدمشقي حول الوحي القرآني ، على الرغم من التحول الذي طرأ على فكر الكنيسة الكاثوليكية ، والذي ارتدت من خلاله ثياب محاولة الانفتاح الديني والثقافي والعلمي على الآخر غير الكاثوليكي المسيحي خاصة وغير المسيحي عامة .

فبعد أن استقر الفكر اللاهوتي الكاثوليكي قروناً طويلة على أن « الكنيسة الكاثوليكية تمتلك وحدها الحقيقة »^(١)، وأن الطريق إلى الله محصور في الكاثوليكية بحسب المبدأ الذي أرساه القديس أوغسطين « لا خلاص إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية »^(٢). جاء المجمع الفاتيكاني الثاني عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) في رأي الغرب بما يشبه « ثورة كوبرنيكس » على حد تعبير المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون^(٣) .

إذ أسس المجمع إدارة لشؤون غير المسيحيين وانفتح المجمع على الآخر غير المسيحي من خلال فقرتين من فقرات مقررته خصتاً بالإسلام بالتحديد :

الفقرة الأولى نصت على أن : « مشيئة الخلاص الإلهي تشمل كذلك أولئك الذين يؤمنون بالله الخالق ، ومن بينهم المسلمون — خاصة — الذين

(١) الأب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ، ص : ٣٥٧ .

(٢) W.Kern, Auserhalb der Kirche Kein Heil? S : ٥ . Basel – Wien ١٩١٩ .

(٣) Christian W .Troll, Der Islam in Verstaendnis der Katholischen Theologie , S: ٥٤ .

يؤمنون بإبراهيم ، ويعبدون معنا الإله الواحد الرحيم الذي سيحاسب الناس يوم القيامة (((١) .

والفقرة الثانية جاء نصها : « تنظر الكنيسة بعين الاعتبار كذلك إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الصمد الرحيم القدير خالق السموات والأرض الذي تكلم إلى البشر » (((٢) .

لكن المتأمل في فحوى الفقرتين وما تلاهما من مواقف وبيانات كنسية لن يجد في الأمر « ثورة كوبر نيكسية » ولا ثورة نيوتونية ، فمعالجة الفقرتين للإسلام كانت واضحة في :

١- عدم الاعتراف بالإسلام بوصفه ديناً ، فعالجت المسألة الإسلامية على أنها مسألة كيان وجماعة إنسانية اجتماعية وليست اتباع دين سماوي .

٢- عدم الإقرار أو الإيحاء أو الإشارة إلى نبوة محمد ﷺ بوصفه نبياً أو رسولا سار على درب النبوة المعروف في العهد الجديد والقديم ، وجاء خاتماً للرسل في أعقاب عيسى عليه السلام .

٣- عدم الشهادة للوحي القرآني بأنه وحي إلهي أصيل تلقاه نبي الإسلام محمد ابن عبد الله من السماء بطرق الوحي الصحيحة .

وكذلك البيانات والإيضاحات الكنسية التي تلت صدور الفقرتين ، والتي تضمنها أهم كتاب كاثوليكي صادر عن كنيسة روما بإشراف البابا يوحنا بولس السادس بعنوان « **Kathechismus der Katholischen Kirche** » عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

(١) L Thk , Das Zweite Vatikanische Konzil, Bd. I, a. a.o. ٢٠٥. Freiburg – Basel – Wien ١٩٦٦ .

(٢) L Thk, Das Zweite Vatikanische Konzil, Bd, II, ٤٨٩ – ٤٩٥ .

فقد نص بيان الكتاب الأساسي الخاص بالوحي على أن :

العقيدة المسيحية لا تستطيع أن تقبل (تجزئ) أي نوع من الوحي يقابل أو يفوق الوحي الذي تمّ في المسيح ، كالوحي الذي تأسست عليه بعض الديانات والطوائف غير المسيحية (١) .

لأن الله لم تعد لديه كلمة أخرى يعطيها بعد أن أرسل ابنه المسيح الذي هو كلمته ، فكل ما تكلم به للأنبياء قطعة قطعة قاله في ابنه الذي إن سُئل بعده رؤية أو وحيًا فإن ذلك لن يكون حماقة فقط ، بل يكون سباً لله (٢) .

كما أن الأب روبر كاسبار المستشرق والمنصر واللاهوتي المعروف وأستاذ الدراسات الإسلامية والمستشار البابوي لشؤون غير المسيحيين ، والذي كان مسؤولاً عن إعداد مسودة الفقرات الخاصة بالإسلام لعرضها على المؤتمرين في المجمع الفاتيكاني .

قد بيّن في لحظة مصارحة مع النفس أن تطبيق معايير الوحي الإلهي على الوحي القرآني تثبت أنه في الجملة وحي إلهي صحيح تلقاه محمد من خلال الهالة النبوية (٣) .

ثم عاد في الصفحة التالية ليتدارك تلك المصارحة معبراً عن الرأي اللاهوتي الرسمي للكنيسة الكاثوليكية تجاه الوحي القرآني ، بقوله :

(١) Katechismus der Katholischen Kirche , S: ٥٧ .

(٢) Katechismus der Katholischen Kirche , S : ٥٧ .

(٣) R. Caspar , Une rencontre avec l' Islam .

Evolution personnelle et Vision actuelle , Spiritus, Nr. ١٢٢ (Februar ١٩٩١) , Bd, XXX II , ٢٢ .

لن يسمح التلفيق القرآني والخفة في الدين بإدراج القرآن في إطار كلمات الوحي الإلهي الصحيحة (١).

وكذلك عندما أبدى بعض المنصفين الكاثوليك ممن درسوا الإسلام بعمق مثل المستشرقة الألمانية آن ماري شيمل A.M.Schimmel الامتناع من العداوة المسيحية الموروثة ضد الإسلام والتي ولدت هجوما متواصلا وسوء فهم متعمد ضده .

ومثل البروفيسور الكاثوليكي هيرمان شل Herman schell الذي صرح بأن الإسلام يجب أن يقارن بالمسيحية من جهة التقدير لتأثيره في الإنسانية وقيمه الدينية ورسالته العالمية .

جاء الرد الكنسي من كلية اللاهوت الكاثوليكي بمدينة بامبرج الألمانية من خلال مجلتها Bamberger Pastoralblatt التي يصدرها أساتذة الكلية القساوسة، إذ لا تسمح الكنيسة أن يتولى منصب الأستاذية في كليات اللاهوت إلا القساوسة:

((لا يصدق المرء عينيه عندما يقرأ مثل هذا الكلام ، لأنه يشبه الهجوم على المسيحية لا الدفاع عنها ، فالحقيقة الموضوعية أن الإسلام ما هو إلا خليط من تعاليم اليهودية والنصرانية والوثنية والدعاوي التعسفية ، جمع ذلك الخليط دون أي نظام إلى جانب سيل من الأكاذيب والخرافات)) (٢) .

(١) Ebd. , ٢٣ .

(٢) Josef Hasenfuss, Kirche und Religionen, S : ٥١ - ٥٢, Verlage Ferdinand schoeigh, Muenchen - Wien ١٩٦٩ .

ومما يؤكد سلامة تحليلنا لنصوص المجمع الفاتيكاني بشأن الإسلام خاصة والديانات الأخر عامة ، ما تضمنته مقررات المجمع نفسه من نصوص حول العمل التصيري الذي تضطلع به الكنيسة الكاثوليكية ، تلك النصوص التي قام على تحليلها القس الكاثوليكي البروفيسور جوزيف هاسن فوس Josef Hasenfuss منتهياً إلى أن المجمع قد صاغ - في الحقيقة - نصاً لتكريس عالمية الكنيسة الكاثوليكية وعالمية رسالتها التي وهبها لها المسيح لتحقيق الخلاص الإلهي بواسطته، لذلك تجد الكنيسة نفسها ملزمة بواجب إبلاغ جميع الشعوب بأن طريق المسيح هو طريق الحقيقة والخلاص ، وأنه لا معنى لموته وآلامه على الصليب دون شمول ذلك الخلاص جميع البشر ، ودون إبلاغ توصيل تلك الرسالة إلى جميع الخلائق بواسطة الكنيسة الكاثوليكية ، لأن خطة الخلاص الإلهي لن تتحقق بفعل التخلية بين الإنسان وبين ضميره وبواعثه الداخلية ، ولا بين الإنسان وبين تعاليمه الدينية الخاصة به ، فقد يسعفه ذلك وقد لا يسعفه ، إنما يجب أن يضاء له طريق الخلاص والاستعداد لتلقي الإنجيل بواسطة الكنيسة الكاثوليكية (١) .

وذلك يجعل من الادعاء بوجود تحول في فكر الكنيسة الكاثوليكية تجاه الوحي القرآني أو الإسلام عامة ضرباً من تزييف الحقائق ، أو خطأ مقصوداً في قراءة المحكم من النصوص والبيّن من الأحكام ، لهذا لخص القس الكاثوليكي البروفيسور جوزيف هاسن فوس Josef Hasenfuss في أعقاب المجمع الفاتيكاني في دراسته الهامة « الكنيسة والأديان » موقف اللاهوت الكاثوليكي من الوحي القرآني في الخلاصة اللاهوتية التالية :

(١) Josef Hasenfuss, Kirche und Religionen, S : ٦٧ - ٦٩ , Verlag Ferdinand Schoennggh , Munchen - wien ١٩٦٩ .

أن القرآن قد مهد له أنبياء مثل موسى وعيسى وغيرهم ، وختم بواسطة محمد الذي يدعي ختام الوحي الإلهي إلى البشر بواسطة ، والذي أقام ديانة طبيعية خلطها بالاعتقاد في الله رب العالمين من خلال التأثير اليهودي والنصراني ، فقاد العرب إلى ديانة توحيدية ، على أساس نزعة تليفقية لفقت بين ما استعاره من تعاليم الوحي في اليهودية والنصرانية وبين ما استعاره من ميراث الحكمة والقانون والشعائر والتصوف الديني الفارسي واليهودي^(١) .

(١) Josef Hasenfuss, Kirche und Religionen, S : ٤٦ - ٤٩ .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : السنة النبوية

- سنن الترمذي ، بتعليق وترقيم عزت عبيد الدعاس ، المطبعة الوطنية .
حمص ٨٥ - ١٣٨٧ هـ .

ثالثاً : الكتب المقدسة لدى الكنيسة :

- العهد القديم (للكاتوليك) اعتماد بولس باسيم : النائب الرسولي للاتين ،
منشورات دار المشرق . بيروت ١٩٨٤ م .

- العهد الجديد (للكاتوليك) اعتماد بولس باسيم : النائب الرسولي للاتين ،
منشورات دار المشرق . بيروت ١٩٨٥ م .

رابعاً : مصادر الفكر اللاهوتي في الكنائس المختلفة:

١- Barge H., Der DominiKanermoench Ricoldus und Seine
Missionsreise nach dem Orient, in : Allgemeine Missions
Zeitschrift ٤٣(١٩١٦) S : ٢٧ - ٤٠ .

٢- Bernhard Lang, Wie wird mann Prophet in Israel ? Dusseldorf
١٩٨٠ .

٣- Bulst, N. :

Guibert von Nogent, in: LMA IV (١٩٨٩) , Sp. ١٧٦٨ - ١٧٦٩

- Petrus venerabilis , in : LMA IV (١٩٩٣) SP. ١٩٨٥ - ١٩٨٧

٤- Burns R. I ., Christian - Islamic Confrontation in the West : The
Thirteenth - Century Dream of Conversion, in : American
Historical Review ٧٦ (١٩٧١) , ١٣٨٦ - ١٤٣٤ .

- ۵- Caspar R., Une rencontre avec l' Islam .
Evolution personnelle et Vision actuelle , Spiritus, Nr.۱۲۲
(Februar ۱۹۹۱) , Bd, XXX II .
- ۶- Chenu M.D., Das Werk des HL Thomas von Aquin , Heidelberg
۱۹۶۰ .
- ۷- Christian W. Troll, Der Islam im Verstaendnis der Katholischen
Teologie , in : Bamberger Theologisches Forum, Hrg . Von :
Klaus Bieberstein , ... , LiT Verlag Muenster ۲۰۰۳ .
- ۸- Foucault, Michel , L' Archeologie du Savoir , Gallimard Paris
۱۹۷۲ .
- ۹- Francis Dvornik , The Ecumenical Concils, Hawthorn Books.
New York ۱۹۶۱ .
- ۱۰- Gottheil R., A Christian Bahira Legend, in : Zeitschrift fuer
Assyriologie und Verwandte Gebiete ۱۴ (۱۸۹۹) S : ۲۰۳ – ۲۳۲ .
- ۱۱- Grabmann M., Die Schrift : De rationibus fidei Contra
Saracenos Graecos et Armenos ad Cantorem Antiochenum des
heiligen Thomas von Aquin , in : Scholastik ۱۷ (۱۹۴۲) .
- ۱۲- Hagemann Ludwig :
Christentum contra Islam, wissenschaftliche
Buchgesellschaft, Darmstadt, ۱۹۹۹ .
Christentum und Islam zwischen Konfrontation und
Begegnung , Wuerzburg – Altenberge ۱۹۹۴ .
Die erste lateinische Koranuebersetzung –Mittel zur
Verstaendigung zwischen Christen und Muslimen im
Mittelalter ? , in : Orientalische Kultur und euro -
Paeisches Mittelalter (Miscellanea Mediaevalia ,
Bd . ۱۷) Berlin – New York ۱۹۸۵ . S : ۴۵ – ۵۸ .
Missionstheoretische Ansaezte bei Thomas von Aquin in
seiner Schrift , in : Thomas von Aquin, Hrsg.von
A.Zimmermann, S:۴۵۹- ۴۸۳ . Berlin – New York ۱۹۸۸ .
Der Kur'an in Verstaendnis und Kritik bei Nikolaus von

- Kues , Ein Beitrag Zur Erhellung islamisch – christlicher Geschichte (F Th st ٢١) . Frontfurt ١٩٧٦ .
- Der Islam in Verstaendnis und Kritik bei, Martin Luther,
In : T Th Z ١٠٣ , Jg , H.٢ (١٩٩٤) S : ١٣١ – ١٥١ .
- ١٣- Hoscher G., Anmerkungen zur Sichtung des Alkorans
(N v K due , Heft ٧) .
- ١٤- Irsigler H. , Die Prophetie im Alten Testament, Bamberg
١٩٩٤ .
- ١٥- Josef Hasenfuss, Kirche und Religionen, Verlage
Ferdinand schoeingh, Muenchen – Wien ١٩٦٩ .
- ١٦- Kathechismus der Katholischen Kirche , Leipzig –
Schweis- Freiburg ١٩٩٣ .
- ١٧- Kellerhals E., Artikel: Islam II, in : (RGG) Bd. III(١٩٥٩) .
- ١٨- Kern W., Auserhalb der Kirche Kein Heil ? Basel – Wien
١٩١٩ .
- ١٩- Kotter B., Johannes von Damaskus, in : Theologische
Realenzklopedie XVII (١٩٨٨) S : ١٢٧ – ١٣٢ . London – New
York- Bonn .
- ٢٠- Kritzeck J., peter the Venerable and Islam, S : ١ – ١١٥ ,
Princeton ١٩٦٤ .
- ٢١- Luthers Brief an den Rath Zu Basel , In : K, R , Hagenbach,
Luther und der Koran vor dem Rath zu Basel, in : Beitraege
zur Vaterlaendischen Geschichte IX (١٨٧٠)
- ٢٢- Martin Luthers Werke , Gesamtausgabe (Weimarer Ausgabe)
Weimar ١٨٨٣ .
- ٢٣- Naumann P., Einfuehrung zur Sichtung des Alkorans
(N v K due , Hoft ٦) .

٢٤- Rotter E. :

- Abendland und Sarazenen , Berlin – New York

١٩٨٦ .

- Embricho Von Mainz und das Mohammed – Bild seiner Zeit , in : Auslandsbeziehungen unter den salisechen Kaisern . hrsg- von F. stab, Speyer ١٩٩٤, S : ٦٩ – ١٣٧ .

٢٥- Rudolf Bultmann, Neues Testament und Mythologie , in : Kerygma und MyThos, Hrsg. von , Hans – Werner Barrsch . Hamburg ١٩٦٠ .

٢٦- Schwinges R.C., Kruzzugsideologie und Toleranz, Stuttgart ١٩٧٧.

٢٧ - Stephon Hotz, Mohammed und seine Lehre in der Darstellung abendlaendischer Autoron vom Spaeten ١١. bis zur Mitte des ١٢. Jahrhunderts, Peter Lang Verlag , Frankfurt – Bern – Bruxelles - New York – Oxford ٢٠٠٢ .

٢٨- Thk L, Das Zweite Vatikanische Konzil, Bd. I, a. a.o. ٢٠٥. Freiburg – Basel – Wien ١٩٦٦ .

٢٩- Udo Schaefer , Glaubenswelt Islam, Georg Olms verlag , Hilde sheim – zuerich – New York ٢٠٠٢ .

٣٠- Umbau Wolf , Luther and Mohammedanism : M W ٣١ (١٩٤١) .

٣١- Vedar B. Z ., Crusade and Mission , European Approuches toward the Muslims , prienceton ١٩٨٤ .

ﺧﺎﻣﺴﺎً : ﻣﺼﺎﺩﺭ ﻣﺘﺮﺟﻤﻪ ﻣﻦ ﻟﻐﺎﺕ ﺍﻟﺄﻭﺭﯨﭙﯩﻴﻪ :

١- إدوارد سعيد ، الاستشراق ، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط الثانية ١٩٨٤ م .

٢- بابا دوبولس ، تاريخ كنيسة أنطاكية ، بترجمة استفانس خداد ، منشورات النور ١٩٨٤ م .

أ. د. عبد الراضي محمد عبد المحسن

٣- الأب جان كمبي ، تاريخ الكنيسة ، طبع دار المشرق بمساعدة الرابطة الكاثوليكية ، بإشراف وترجمة لجنة من المطارنة والآباء اليسوعيين والفرنسيين ، ط الأولى ، بيروت ١٩٩٤ م .

٤- دانييل ساهاس ، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام ، مجلة الاجتهاد - بيروت ، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

٥- ر . و . سذر ، نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ، بترجمة على فهم خشيم وصلاح الدين حسن ، دار مكتبة الفكر ، ط الأولى ، طرابلس ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٦- لويس غريه - جورج قنواي ، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الأولى ١٩٦٧م .

٧- يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، بترجمة عمر العالم ، دار قتيبة ، ط الأولى ، دمشق ، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

سادساً : مراجع أخرى :

الدكتور عبدالراضي محمد عبد المحسن ، حركة الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم ، مجلة "رسالة المشرق" ، مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ، المجلد العاشر ٢٠٠١م ، ص: ٤١٥ - ٤٩٩ .

* * *

